صفحة من تاريخ افغانستان المعاصر

لمناسبة حوادثها الاخيرة

للاستاذ محمد عبد الله عنان

— ٢ —

غادر أمان الله ميدان الحوادث فى أفغانستان فى ربيع سنة ١٩٢٩ كما قدمنا ، وفر مع زوجه وأسرته بثقلا بما يدخر الأمراء الطغاة لمثل هذا اليوم من مال مغتصب ؛ ولكن الملك الجديد باشا السقا أو حبيب الله لم يستطع أن يبسط سلطانه على غير كابول وضواحيها ، ولبثت أفغانستان تضطرم بالحرب الأهلية ، وزعماء القبائل القوية ولا سيما الشنوارى وغلزة يتطلع كل منهم الى الملك . عندئذ ظهر فى ميدان الحوادث رجل لم يكن له فى بدء الفتنة من الأمر شىء ، وكان يقيم منذ حين بعيداً عن وطنه فى معزل عن الحوادث . ذلك الرجل هو الجنرال نادر خان . وكان من قبل وزيراً للحربية وقائداً عاما للجيش فى حكومة الملك أمان الله . ولكنه لما رأى اندفاع أمان الله فى سياسته الطائشة ، استقال من منصبه وعين سفيراً لأفغانستان فى باريس ، وأبعد بتلك الوسيلة عن طريق أمان الله . فلما نشبت الثورة وتفاقم خطر الحرب الأهلية لبى نادر خان داعى الوطن وعاد الى أفغانستان ليحاول إخماد الفتنة وإنقاذ أفغانستان من عواقب ذلك النزاع الخطر ، ولكنه ألفى الموقف مستحيلا ؛ فاعتزم أن يخوض المعركة وأن يحاول سحق ذلك الزعيم المتغلب الذى أثار هـذا الضرام ، وجعل من أفغانستان مسرحا للجريمة والفوضى ؛ فحشد أنصاره وفاوض زعماء القبائل القوية . ومن المعقول أيضاً أن تكون السياسة الانجليزية قد أدت مهمتها التاريخية فى هذا النزاع ، وأمدت نادر خان بالمعاونة المطلوبة لأنها رأت فيه زعيما مستنيراً متزنا ، ولأنها تحرص دائما أن يستتب الأمر فى أفغانستان لأمير يؤثر التعاون مع بريطانيا العظمى . وعلى أى حال فقد استطاع نادر خان أن يشق طريقه ، وأن يهزم قوات المتغلب والثوار فى عدة معارك ؛ ثم زحف أخيراً على كابول ودخلها فى أكتوبر سنة ١٩٢٩ ، وقبض على حبيب الله وأمر به فأعدم رمياً بالرصاص ؛ وقبض على زمام السلطة فى كابول . بيد أنه لم يكن سيد الموقف بعد ، لأن الثورة لبثت تضطرم فى مختلف الأنحاء . وكان نادر خان كما قدمنا من معارضى سياسة التجديد الأوربى التى كان لها شأن فى اضرام الثورة ، فأعلن مرة أخرى أنه سيعمل على احترام أحكام الشريعة الاسلامية وتقاليد البلاد وحمايتها من كل انتهاك وعبث ؛ وأخذت الثورة تهدأ شيئاً فشيئا ، ونادر خان يصرح أنه لا يبغى العرش وأنه يتركه للرجل الذى تختاره أفغانستان . على أنه لم يك ثمة شك فى نتيجة هذا التطور ، فقد انتهى نادر خان بارتقاء العرش بعد ذلك بأيام قلائل (١٥ أكتوبر) على يد جمعية وطنية من الزعماء نادت به ملكا وأيدته معظم العناصر القوية فى البلاد .

وقد ولد السردار محمد نادر خان فى سنة ١٨٨٣ من والدين ينتمى كلاهما الى أصل ملكى . وظهر منذ فتوته بالبراعة الحربية وتولى منذ سنة ١٩١٩ قيادة حرب الاستقلال الأفغانى فى صف الملك أمان الله ، ولبث مدى أعوام شخصية بارزة فى حياة أفغانستان العامة ؛ ولكنه أبى التعاون مع أمان الله منذ رأى تطرفه واندفاعه . وتولى نادر خان الحكم فى غمار من الصعاب ، ولكنه أبدى منتهى الاعتدال والكفاية والحزم ؛ وألغى جميع الاجراءات المتطرفة التى اتخذها أمان الله ؛ وردّ أحكام الشريعة كما كانت ، ونظم علائق أفغانستان مع الدول ؛ وكانت بريطانيا العظمى أول الدول التى اعترفت بحكومته ؛ واهتم نادر خان باصلاح الجيش وتقويته ، ولبث يعمل فى مثابرة وجلد حتى عادت السكينة الى البلاد واستقر الأمر فى نصابه نوعا . ولكن بعض القبائل القوية ولا سيما قبيلة الشنوارى لبثت محتفظة بموقفها من الاستقلال عن كل سلطة . ولم تمض أشهر قلائل حتى عادت الثورة والقلاقل العنيفة تهدد سلام البلاد وأمنها ؛ فعاد نادر خان الى الكفاح ؛ وكانت تعترضه صعاب فادحة مالية وغيرها . واستمرت الثورة تخبو وتضطرم فى أفغانستان مدى الأربعة أعوام التى حكمها نادر خان . بيد أنها كانت ثورات محلية ؛ ولم تتخذ ذلك العنف الذى تتحول معه مصاير أفغانستان الى وجهة جديدة ؛ وكان نادر خان دائما رجل الموقف : وبذل نادر خان جهودا صادقة لاصلاح نظم الحكم والادارة ، وجرى فى الحكم على نظام الوزارة الحديث ، وأنشأ مجلسا تمثيليا (برلمانا) يقوم بمهمة التشريع باشرافه ، ولزم جانب الاعتدال فى سياسة الاصلاح ، ورد المرأة الافغانية الى حجابها ومنزلها ، ولم يحاول أن يغير بالعنف شيئا من تقاليد البلاد الدينية او الاجتماعية ؛

وسار بافغانستان فى طريق التقدم والتوطد رغم القلاقل التى كانت تعترض سبيله من آن لآخر ، وعادت السياسة البريطانية فوثقت علاقتها مع افغانستان ، وقامت السفارة البريطانية فى كابول مرة أخرى ، وطبقت المعاهدة المعقودة بين البلدين منذ سنة ١٩٢١ . وبالجملة فقد بدأت افغانستان على يد هذا الامير القوى الحازم مرحلة من الاستقرار والتقدم كان مقدرا ان تطول وان تثمر خير النتائج لولم يذهب نادرخان فجأة ضحية الاغتيال السياسى .

***

لم يكن مقتل نادرشاه مفاجأة كما قدمنا ، فقد رأينا ان عرش افغانستان يقوم على بركان مضطرم من المنافسة الدموية ، ورأينا كيف يذهب معظم الجالسين عليه ضحية الغدر والغيلة . ولم تتضح العوامل والظروف الحقيقية التى ذهب ضحيتها نادرشاه بعد وضوحا كافيا يسبغ عليها لون التاريخ الحق . ولكنا نستطيع ان نتتبع هذه العوامل فى معترك البغضاء السياسية والشخصية التى تتربص منذ بعيد بنادرشاه واسرته ، واليك خلاصة مايقال فى اصل الجريمة واسبابها

كان غلام نبى بين زعماء افغانستان المقربين الى الملك امان الله ومن اكبر معاونيه . وكان يشغل منصب سفير افغانستان فى باريس ايام حكم الملك امان الله ، ويشغل أخوه غلام صادق منصب سفير افغانستان فى برلين . وهو من أسرة « تشركى » القوية ، فلما سقط امان الله وتولى نادرخان ، أقيل غلام نبى وعين مكانه فى سفارة باريس السردار شاه والى خان اخو نادرشاه ، ثم أقيل أخوه غلام صادق بعد ذلك من سفارة برلين وعين مكانه اخ للملك أيضا هو السردار محمد عزيز خان .

ولبث غلام نبى حينا فى اوربا ثم عاد الى افغانستان بشفاعة اخى الملك والى خان وبعد وعد ملكى بالامان . واستخدمه نادرشاه فى مهام عسكرية ر ـ ياسية فى بعض الاقاليم ، ولكن غلام نبى كان يضطرم باطماع خفية ، وكان يبث دعوة الثورة ضد نادرشاه خفية ويدعو لصديقه السابق امان الله ، ووقف نادرشاه على طرف من مساعيه فاستدعاه الى كابول واستدرجه الى مجلس عقده فى قصره بضاحية « الارج » التى تضم القصور والقلاع الملكية ، ولما ظهر نبى خان أمامه أبرز له بعض الوثائق التى تثبت خيانته ، فحاول غلام نبى الجدل والمكابرة ، ولكن نادرشاه كان قد أعد العدة للتخلص منـــه وفى الحال ظهر عدة جنود مدججين بالسلاح ، وانقضوا عليه وقتلوه خنقا امام عينى الملك . وأخفى نبأ موته حتى عقد نادرشاه فى اليوم التالى محكمة من الرؤساء اجتمعت سرا وقضت باعدام غلام نبى جزاء خيانته ، ثم نشر نبأ اعدامه بعد ذلك فى الجريدة الرسمية ، وعلمت اسرة « تشركى » أسرة غلام نبى القوية ـ بمصرع زعيمها ، واقسمت بالانتقام .

وكان ذلك فى الثامن من نوفمبر سنة ١٩٣٢ ، أى لعام بالضبط قبل مقتل نادر شاه . وعلى أثر ذلك قبض على كثيرين من أسرة غلام نبى وأتباعه . وكان ممن قبض عليهم بسبب الحادث عامل جنان من أتباع غلام نبى وولده ، وهو طالب فى السابعة عشرة من عمره يدعى عبد الخالق ، فاعتقل الفتى أياما ثم أطلق سراحه بشفاعة وزير المعارف لانه طالب مجد متفوق فى الالعاب الرياضية ولم تلحقه أية شبهة . وكان الفتى عبد الخالق هذا هو قاتل نادرشاه فى المستقبل

أقسمت أسرة « تشركى » بالانتقام وعملت له ، وظهرت البوادر الأولى لانتقامها المميت فى يوليه سنة ١٩٣٣ ، فى برلين حيث قتل السردار محمد عزيز خان أخو الملك نادر شاه وسفير أفغانستان فى فى برلين ، قتله طالب أفغانى من حزب « أفغان الفتاة » الذى يناصر سياسة الملك أمان الله ، واتجهت الريب يومئذ إلى غلام صادق أخى غلام نبى الذى كان يشغل من قبل منصب سفير أفغانستان فى برلين وعرضت أسرة غلام نبى فى كابول بسبب هذا الحادث إلى مطاردات واضطهادات جديدة ، وازداد الملك نادر شاه ريبا فيها وحذرا منها ، وازدادت الأسرة ظمأ إلى الانتقام .

وكان الفتى عبد الخالق أثناء ذلك متصلا بأسرة غلام نبى التى يعمل لديها أبوه ، وكانت الأسرة تبث الى كل من يتصل بها روح البغض لنادر شاه والنقمة عليه . وهنا تروى قصة غرام وانتقام خلاصتها أن الفتى عبد الخالق هام بحب سيدة رائعة الحسن من سيدات أسرة غلام نبى ، وانها شجعته وبادلته الهوى ، وأغدقت عليه كل عطفها وحنانها ، وكانت أبواب القصر تفتح لعبد الخالق صباح مساء ، ويلتف حوله سيدات الأسرة جميعاً ، ويبذرن فى نفسه المتيمة الهائمة ضرام البغض والنقمة ، وكانت صاحبته الحسناء تملأ عليه كل حسه وتفكيره ، وتصور له المستقبل بديعا فياضا بالآمال الكبيرة ، فاذا قتل نادرشاه وعاد أمان الله ، فان أسرة تشركى تعود إلى سابق مجدها ونفوذها ، ويغدو عبد الخالق وأسرته من ذوى النفوذ والغنى .

ولم تمض أشهر قلائل حتى نضج المشروع ، ولم يبق على عبد الخالق الا أن يتحين فرصة التنفيذ . وسنحت هذه الفرصة فى اليوم الثامن من نوفمبر ، وكان قد تقرر أن تقام فى هذا اليوم مباراة فى الكرة بين فريق المدرسة الفرنسية الأفغانية ، وفريق المدرسة الألمانية الأفغانية التى ينتمى عبد الخالق إلى طلبتها ويعمل عضواً فى فريقها الرياضى . كذلك تقرر أن يرأس الملك نادر شاه الحفلة ويتولى توزيع الجوائز على الفائزين ، وأقيمت المباراة فى إحدى ساحات الحدائق الملكية فى « أرج » فى عصر هذا اليوم . وقصد الملك نادر شاه مع ولده ظاهر شاه وعدة من الأكابر إلى الخيمة الملكية لمشاهدة المباراة ، وفى أثناء سيره خرج من صف الطلبة المجاور له طالب يرتدى ثياب اللعب ، واقترب منه بسرعة ورفع يده وأطلق ثلاث رصاصات متواليات ، فوضع الملك يده على قلبه وسقط صريعا على الاثر ، وكان هذا الطالب هو عبد الخالق . ووقع الحادث بسرعة مدهشة ، وذهب دوى الرصاص فى الضجيج والهواء فلم يفطن له أحد . وساد الهرج وقبض على المعتدى وتمت المأساة .

***

هكذا تروى العوامل والظروف التى دبر فيها مقتل المغفور له نادر شاه ، وهكذا توصف الصورة التى تمت بها الجريمة . وقد كان للحادث دوى عميق ؛ وكان مدبرو الجريمة يؤملون على مايظهر أن يحدث موت نادر شاه اضطرابا وقلاقل ينتهزها خصوم الملك القتيل لاضرام الثورة ؛ وكانت بوادر الثورة تبدو فى الجنوب منذ حين ؛ ولكن السردار محمود وزير الحربية وأصغر أخوة الملك القتيل أبدى منتهى الحزم والسرعة فى تلافى هذا الاثر ، فلم تمض ساعة واحدة على مقتل نادر شاه حتى كان قد استدعى الوزراء والقادة والزعماء الى القصر ، ونادى فى الحال بظاهر شاه ولد الملك نادر شاه الوحيد ملكا على افغانستان مكان ابيه ؛ وحياه الزعماء والقادة والضباط فى الحال بلقب الجلالة . وقد أبدى السردار محمود فى ذلك تضحية وحكمة سياسية بعيدة المدى ، لانه من حق اخوة الملك طبقا لقانون العرش الافغانى ان يرثوا العرش ؛ ولكن السردار محمود أدرك فى الحال ما قد تثيره مسألة العرش بين أخوة الملك الثلاثة وبين المتطلعين الى العرش من الاضطراب الخطر على سلام البلاد ، وجاء رفع ظاهر شاه الى العرش حاسما لكل خلاف وجدل

وفى الحال زج القبض القاتل الى قلعة القصر ، ووجد معه على ما يقال صور الغادة الحسناء التى حرضته فقبض عليها ، وقبض على كثيرين من اسرة غلام نبى رجالا ونساء واطفالا ، وقبض على كثيرين من زملاء عبد الخالق فى المدرسة وعلى بعض المدرسين ، بل وعلى وزير المعارف ؛ وهبت على العاصمة الأفغانية ريح من الروع والرهبة ؛ ومازالت اقبية السجن الملكى غاصة بالمقبوض عليهم ولا يعلم حتى اليوم من زهق منهم ومن هو باق على قيد الحياة

وملك أفغانستان الجديد جلالة ظاهر شاه فى العشرين من عمره وهو ولد نادر خان الوحيد ، ولكن له أربع شقيقات هن بالتعاقب : الأميرة زهرة وهى فى السابعة عشرة ، والأميرة زينب وهى فى الخامسة عشرة ، والاميرة سلطانة وهى فى الرابعة عشرة والأميرة بلقيس وهى فى الثانية عشرة ، وقد تلقى ظاهر شاه بعض تربيته فى فرنسا ، وأقام هنالك بحوثمانية أعوام ، وهو ذو آراء وتربية عصرية ويجيد اللغة الفرنسية فضلا عن الفارسية والاوردية (الهندية) . وقد كان منذ حين ، اثناء حياة والده يتولى بعض الوزارات والمهام الرسمية طبقا لتقاليد أمراء الأسرة الملكية ؛ وهو بعد الملك غازى ، ملك العراق أحدث ملوك الشرق والغرب سنا

وقد مضى إلى اليوم زهاء أربعة أشهر مذ تولى ظاهر شاه عرش افغانستان دون أن نسمع بحدوث اضطرابات او قلاقل جديدة ، والظاهر أن حكومة الملك الجديد تقبض على ناصية الموقف ، وأن بوادر الثورة التى كانت على أهبة الانفجار قد أخمدت أو اختفت الى حين وأن الشعب الافغانى يؤيد القابضين اليوم على زمامه . وهكذا تتحطم آمال المتطلعين الى العرش وفى مقدمتهم الملك السابق أمان الله مرة أخرى

ونحن نغتبط إذ نرى أفغانستان تجوز أزمتها الخطيرة بمثل هذه السرعة ، ونرجو أن تظل هذه الشقيقة الشرقية النابهة متمتعة بالاستقرار والسكينة ، بعيدة عن كيد السياسة الاجنبية ومطامعها ؟

محمد عبد الله عنان

مجموعة السنة الأولى للرسالة

لدى الادارة مجموعات مجلدة من السنة الأولى للرسالة تباع بخمسة وثلاثين قرشا غير أجرة البريد